مركز الأهرام للتنظيم وتكنولوجيا المعلومات

المصدر: الاهـــــرام

التاريخ : ١٩٧٨/١/١٥

خـــط الســـــلام

وأحلام التوسع خلف ضباب الأمن

سوف تبدأ اللجنة السياسية. اجتماعاتها غـدا فى القدس ، وســـوف تكـون القضـــية الفلســـطينية : واحـدا من الموضـــوعات الاساســـية لاجتماعات اللجنة التى ســوف يشارك فى اعمالها ـ لمدة ثلاثة ايـام اولى ـ سيروس فانس وزير الخـارجية الامريكية .. بهدف مساعدة الطرفين ـ مصر واسرائيـل ـ على اجتيـاز العقبات الاساسية التى تحول حتى الآن ، دون اصـدار دبان نوايا ، يعلن الاسس العامة التى ينبغى ان تكون اساسا لتسوية عادلة فى الشرق الاوسط .

ومع حرص مصر الشـــديد على ان يتضمن بيان النوايا ـ ان كانت هناك فرصة لصدوره ـ تاكيدا على ضرورة اقرار مبدا حق تقرير المصير للفلسطينيين الا ان الامر المؤكد ان مصر اكثر حرصا على أن تدع مناقشـــة التفاصـيل ، للفلسطينيين انفسهم ، الذين ينبغى أن يشاركوا فى تقرير مستقبلهم على حد تعبير الرئيس الامريكى ، جيمى كارتر .

والواقع أن المسافة لم تزل بعيدة بين مواقف الجانبين ، فمصر ـ يشاركها الامريكيون الى حد مقبول ـ ترى ان المقترحات التى قدمها بيجين للحكم الذاتى لا تكفى حلا للمشـكلة الفلسـطينية ، باعتبارها لب الازمة وجوهرها .. فضلا عن أن هـذه المقترحات فى صـورتها الراهنة ، ليست اكثر من تقنين لبقاء قوات الاحتلال الاسرائيلى على ارض القطاع والضفة .

وان الحل العادل انما يكمن فى كفالة مبدأ حق تقرير المصير للشعب الفلسطينى الذى ينبغى ان يـكون له كيان ووطن وهوية ، وان استقرار الفلسـطينيين سوف يسهم بشكل اساسى فى استقرار الشرق الاوسط وأمنه بما فى ذلك أمن اسرائيل ذاتها ، وأن رؤية اسرائيلية عاقلة ، لا تصـطدم بمعتقدات الوهم حول اسرائيـل الكبرى ، ولا باحـلام التوسع والسيطرة القديمة ، مثل هذه الرؤية سوف تساعد على اعادة الاتزان الى الموقف الفلسطينى ، وسوف تعطى لتيار الاعتدال داخل منظمة التحرير ، فرصة مراجعة النفس ، خصوصا وأن الموقف المصرى من المنظمة ، لم يزل فى مجموعه العام ، كما هو دون تبدل ، فعلى حين يرى الامريكيون ، أن المنظمة

قد ضيعت فرصتها التاريخية «!» ترى مصر أن الباب لم يزل مفتوحا ، وأن الفلسطينيين فى المجموع العام ، مازالوا حريصين على أن يبقى مفتوحـا ، وأن الاسرائيليين هم الذين يضـعون العصى فى العجلات ويشـــدون المزاليج وراء الابواب .

مخـــاطر واهمـــة حول الدولة الفلسطينية

اسرائيل ترى — أو على وجه اصح — تريد للعـالم أن يرى ، أن حق تقرير المصير سوف يمكن الفلسطينيين من اقامة دولتهم وان اقامة هذه الدولة سوف يشـكل خطرا آليا على الوجود الاسـرائيلى ذاته ، متعللة فى ذلك بأسـباب عديدة ، اهمها ان الدولة الفلسطينية سوف تكون قاعدة لاعمال التخريب ضد اسرائيل ، وليس هناك من ضمان يحول دون ذلك «!» ، **وان الحل الامثل هو الانكار الكامل لاى حق فلسـطينى فى الكيان او الهوية ، أو الوطن ، لا يهم بعـد ذلك ان تتشرذم الحركة الوطنية الفلسطينية ، الى فصائل تنشر باليـاس ، الارهـاب على نطاق الشرق الاوسـط ، أو العالم ، وأن تتعزز تحالفات الارهاب الدولى ، بمنطق الرفض الاسرائيلى غـير المبرر ، وأن يعيش عالمنا التعس ، موجات متلاحقة من العنف اليائس ، والارهاب المبرر .**

والواقع أن ضمانات عديدة ، تستطيع أن تحول دون أن تكون الدولة الفلسطينية قاعدة انطلاق ، ضد الوجود الاسرائيلى داخل حدوده المعترف بها والمتفق عليها .. ضمانات عربية وضمانات فلسطينية وضـمانات دوليـة ، بل وضـمانات اسرائيلية ايضا ، تتمثل فى قوة الردع الاسرائيلى التى لم تزو بعد ، والتى مكنت اسرائيل طويلا من ملاقاة العرب على ٣ جبهات .

ولكن الاسرائيليين يجسدون المشكلة تجسيدا واهما ومخلا ، **لان القضـية الاساسية فى العقل الاسرائيلى .. ما زالت : هل تعود اسرائيل الى حدود عام ٦٧ ؟ .. لقد كانت اسرائيل الكبرى على وشك أن تقوم بالامد الواقـع ، وكان كل شىء يجرى طبقا لتوقعـاتهم المحفوظـة لردود الافعـال العربيـة التقليدية ، حتى جاءت المبادرة المصرية لتقطع الطريق على فلسفة الامر الواقع التى تتبناها السياسـة الاسرائيلية ، ولتقيم السؤال واضحا ومحددا .. هل تريد اسرائيل السلام ، أم انها تريد التوسـع ؟**

لو أن اسرائيل تريد السلام حقا ، لكان عليها أن تساعد فى تهيئة مناخ الاعتدال داخل المجال الفلسطينى ، بموقف مشروع وعقلانى من القضية التى اتفق الجميع على انها لب الازمة وجوهرها

خـلافات أسـاسية فى اللجنة العسكرية

واذا كانت اللجنة العسكرية — قد انهت يوم الجمعة الماضى ، وبناء على طلب اسرائيل ، الفاصـل الاول من اجتماعاتهـا فى القاهـرة ، انتظارا لاجتماعات اللجنة السياسية فى القدس فالامر المؤكد ايضـا أن اعمال اللجنة العسكرية قد كشفت ، اختلافا واضحا بين الموقفين المصرى والاسرائيلى : حول موضوع الانسحاب والمستوطنات .

لم يكن الخلاف حول الامن الاسرائيلى فالواقع أن اسـتجابة الجانب المصرى لترتيبات الامن داخل سيناء المصرية ، كانت اكثر من معقـولة وكانت تعكس بالفعل صدق الرغبة المصرية فى ان تكون حرب ٧٣ هى آخر الحروب .

● قبل المصريون ، اقامة محطات انذار مبكرة على جانبى الحدود يديرها الامريكيون ، باعتبار أن العبء الاكبر من الضمانات سوف يقع على عاتقهم قبل المصريون ايضـا مناطق منزوعة السلاح على ارضهم ، تعوض اسرائيل عن عمقها المحدود ، قبلوا اعلان العقبة ممرا ملاحيا دوليا ، قبلوا وجود قوات طوارىء دولية فى شرم الشيخ .

ولكن الاسرائيليين ، يطلبون تعزيز المستوطنات على ارض سيناء ، ثم يطلبون تأجيل اعمال اللجنة ، انتظارا لاجتماعات اللجنة السياسية فى القدس .. هل يتصور الاسرائيليون ، انهم لو تشددوا فى أمد مستوطنات سيناء فربما يكون ذلك حافزا للمصريين كى يكونوا اكثر مرونة فى اجتماعات القدس خصوصا ازاء حق تقرير المصير للفلسطينيين !

أم انهم يتصورون أن مصر قد هدمت بالمبادرة الحاجز النفسى ليقيموا هم حاجز المستعمرات على الارض المصرية ، فى تلك الشقة من مساحة سيناء الشمالية وراء خط العريش ـ راس محمد وحتى الحدود الدولية لسيناء .

ان كلا الاحتمالين يكشفان عن رغبة مستر بيجين فى أن يزدرد مبادرة الرئيس السادات ، وذلك ما دعاه أمس الى أن يعلن تحذيره ، مؤكدا أن موقف بيجين الاخير يعنى تقويضا للمبادرة !

بيجين .. لست الفرس ولست الرومان

ان مستر بيجين الذى يحلو له أن يعود دائما الى التاريخ اليهودى ، لابد وأن يدرك ان التاريخ اليهودى ليس هو تاريخ العالم او محوره ، وان الامر الاكثر موضوعية وصوابا ، أن يخرج من دائرته المغلقة ، ان يحطم « الجيتو » داخل راسه ، ليعرف أن هناك تاريخا آخر ، تاريخا حقيقيا ، ليس نسيجه الاسطورة ، تاريخا اكثر ارتباطا بسلام العالم وأمنه من التاريخ اليهودى .

ولا ينبغى للاسرائيليين ـ ايا كانت مهارتهم ـ أن يكون فى حسبتهم انهم سوف ينالون شبرا واحدا من برية سيناء قدس اقداس مصر ، ومفتاح أمنها على مر العصور ـ وعلى حد تعبير استاذ مصرى فاضل .. فان هناك عقيدة أمن مصرية عمرها الان ٧ آلاف عام ، عقيدة قديمة ومتجددة لا يسهل تجاهلها ، تقول دافع عن سيناء تدافع عن القناة تدافع عن مصر جميعها ، موقعا ومكانة وتاريخا .. ولست الفرس يا مستر بيجين ، ولست الرومان .

لقد ذوى هؤلاء وبقيت مصر فى حدودها الدولية ، ربما يكون هناك بعض شبه مع غزوة التتار ، ولكن غزوة التتار كما جاءت ، هادرة وسريعة ، ذهبت تصبرة وبدون عودة ، لانها كانت تتجاهل ، حقائق الواقع والتاريخ .

والمشكلة الاساسية الان ، كما يكشف عنها الموقف الاسرائيلى ، ازاء تضيتى المستوطنات وانسحاب الاحتلال الاسرائيلى من الضفة وغزة أن الاسرائيليين يتصورون انهم سوف يكونون قادرين على ان يخفوا مطامع التوسع خلف ذلك الضباب الكثيف الذى ما زال يغلف قضية الامن الاسرائيلى !

وكلنا يعرف الحقيقة !

■ على مدى ٣ حروب ، واسرائيل هى التى تتمدد بسياسة الامر الواقع فوق الارض العربية ، من المستعمرات المحدودة الى التقسيم ، الى الطرف الشمالى من خليج العقبة ، فى موقع ام الرشراش المصرى ، والان تزداد الاحلام كثافة حول « يهودا وسامرا » والجزء الشمالى من برية سيناء .. ان السلام لا يمكن أن ينهض مع التوسع ولا يمكن أن يكون الامن الاسرائيلى موقوفا او مشروطا باستلاب المزيد من الارض العربية .

كلنا يعرف ايضا الحقيقة الاخرى :

■ يعرف ان الحروب الثلاث كانت

عدوانا اسرائيليا ، باكثر مما كانت حربا من جانب العرب ، وربما تكون المهارة الاسرائيلية فى الدعاية والاعلام والعلاقات السرية الكثيفة قد نجحت فى أن تصور للاخرين الامور على نحو مختلف ، ولكن فى قضية تتعلق بالسلام الدائم ، ليس المهم فقط ، النجاح فى اقناع الاخرين ، المهم ان ينجح الاسرائيليون فى اقناع الشارع العربى فى اقناع اصحاب القضية ذاتها .. لان السلام بعد حرب اكتوبر جهد نسيج مشترك وليس املاء لشروط جانب واحد ولان اسس السلام الشامل ينبغى أن تكون مقنعة للعرب ، قبل أن تكون مقنعة للاخرين : أوربيون كانوا أم أمريكيون.

ان جوهر قضية الامن الاسرائيلى ، كما كشفت عنها حرب اكتوبر هو أن بقاء اسرائيل لابد وان يرتكز قبل كل شىء على قدرتها ، على أن تكون مقبولة من جيرانها العرب لا فقط على قدرتها العسكرية التى تحطم ثلثاها — باعتراف الاسرائيليين انفسهم — خلال الايام الاولى من الحرب .

لم يعد الجندى الاسرائيلى فى موقع التفوق الابدى !

ولم يعد محكوما على العرب الى بالتخلف التكنولوجى !

ولم يعد محكوما على العقل العربى أن يكون فى وضع التلقى ، لا وضع المبادرة !

لم تعد حتى التحالفات مع القوى الكبرى خارج المنطقة هى انسب الاساليب لضمان الامن !

كان هناك حلف اسرائيلى بريطانى ، به قامت اسرائيل ، فأين هذا التحالف الان ؟!

وكان هناك تحالف اسرائيلى فرنسى به نهضت آلة الحرب الاسرائيلية ، فأين هذا التحالف الان ؟!

والان ، هناك تحالف امريكى اسرائيلى ولكنه يخضع ، كل يوم لعوامل الشد والجذب ، والامر المؤكد ، ان مصر التى تعلمت من دروس سابقة مستفادة ، استطاعت بمبادرة السادات أن تخترق هذا المجال ، ربما ليس بالقدر الكافى بعد ، ولكن هذا التطابق الالى بين الموقف الاسرائيلى والموقف الامريكى قد فقد كثيرا من مبرراته المصطنعة .

انه لا بديل من ذلك كله امام الاسرائيليين الان ، الا ان يكونوا مقبولين من العرب ، مقبولين من الجيران ولن يساعد على قبولهم ، أن يكون هناك جندى اسرائيلى واحد فى سيناء أو فى أرض الضفة !

عوامل هامشية تغرى بالصلافة

وربما يغرى الاسرائيليين بالتزام الصلافة ، بعض الظواهر الهامشية على السطح :

☐ هذا التشنج الذى يبدو فى العالم العربى باصطناع الفرقة ما بين دول رافضة ودول غير رافضة ، ولكن ايا كان حجم الخلافات الراهنة فى العالم العربى فانها تستطيع ان تنداح سريعا اذا لم يكن لدى الجانب الاسرائيلى القدر المعقول من الرؤية لحقائق المشكلة ، ولا اظن أن الاسرائيليين قد فهموا مقولة الرئيس السادات ، عندما قال أن حرب ٧٣ سوف تكون آخر الحروب ، على انها مقولة غير مشروطة بردهم الايجابى على المبادرة .

☐ هذا الاستمراء الطويل لسياسة الامر الواقع الاسرائيلية .. فى السابق كان الاسرائيليون يفعلون كل شىء ، وعندما كان احد يجادلهم فى عدم

مشروعية ما يفعلون ، كانوا يردون ببساطة ، اننا لا نجد احدا نتحدث معه والان لم يعد ذلك مبررا مقنعا

□ هذا الانهماك الذى يبدو عليه الموقف الفلسطينى بعد أن جرته الرؤية الخاطئة الى معارك جانبية ولكن طالما هناك شعب فلسطينى يعانى من عدم الاستقرار ، طالما هناك معسكرات ، لشعب بلا هوية ولا كيان ، فسوف يظل قانون السخط والثورة فعالا ومؤثرا .

□ هذا السلاح الذى يتكدس فى أقبية جيش الدفاع الاسرائيلى ، ولكن ذلك يجر المنطقة الى سباق تسلح خطير وفى القضايا المتعلقة بالتراب الوطنى والتحرير ، تأخذ القضية بعدا اكثر تعقيدا من فقدان توازن السلاح .. ان حرب اكتوبر نفسها بدأت وميزان التسلح فى صالح اسرائيل .

باختصار العوامل التى تغرى بالصلف موقوتة ومتغيرة ، عوامل غير اصيلة فى الموقف .

ان كافة التقارير القادمة من اسرائيل تؤكد أن بيجين ، استطاع أن يصبح الان اكثر الشخصيات الاسرائيلية سطوة منذ وفاة بن جوريون ، عام ٦٣ ، وخلال مناقشات الكنيست الاخيرة جرى التصويت لصالحه بأغلبية ٨٦ صوتا ضد ٨ اصوات فقط بالرغم من غياب ٤٠ عضوا هم ممثلو حزب العمل المعارض .. وفى استفتاء اخير حول مدى زيادة شعبيته ، اكد ٨٢ فى المائة من الناخبين الاسرائيليين أن شعبية بيجين قد ازدادت بعد رحلة الاسماعيلية . وذلك يعنى أن بيجين قوى فى الداخل ، بل لعله الان بالفعل اقوى رؤساء الوزارات الذين حكموا اسرائيل منذ وفاة بن جوريون .

ولكنها قوة ذات حدين ..
يستطيع بيجين ، اذا كان يملك حسا تاريخيا ابعد من حسه اليهودى الخاص أن يتخذ القرار وان يسبق شعبه وان ينزع عن العقل الاسرائيلى فكرة الجيتو المغلق ، والامن المرتبط بالارض .

ويستطيع ايضا اذا لم يكن فى رأسه سوى دروس التاريخ اليهودى المنسوج بالاسطورة اكثر مما هو منسوج بالحقيقة أن يدفع المزيد من العصى الى العجلات مستندا الى هاجامات الداخل وصقور جيش الدفاع والمهووسين باحلام اسرائيل الكبرى من الجماعات الدينية المتطرفة ، التى تتهمه الان ، «هو لم يقدم شيئا ذا بال ، بانه قد فرط فى الكثير «!»

هل يضع بيجين عينيه على هؤلاء ، ام على المستقبل ، أولئك الغلمان الصغار الذين كانوا وقود حرب ٧٣ ، والذين نضحوا فى كل زاوية من اسرائيل تشنجات الحرس القديم وافكارهم الخاطئة عن العرب ، والمصريين أولئك الذين كانوا فى الخطوط الامامية من جهة القناة فى حصون بارليف المنهارة والذين كشفوا التقصير ودعوا الى التغيير الشامل فى اسرائيل ..

ثم ماذا يحمل فانس فى حقائبه الى القدس ، هل سيكون الوجود الامريكى ثوبا ومؤثرا داخل اعمال اللجنة السياسية ، لو انه فعل ذلك فى مواجهة افكار بيجين القديمة ، فلعل فانس يكون أول من وضع موضع التنفيذ ، الشعار الامريكى الذى يتردد الان فى الكواليس ، لابد من انقاذ اسرائيل على الرغم منها .. !